اطاريح جامعية

نهضة الامة العربية والاسلامية في فكر مالك بن نبي(*)

الدكتور
مثنى المهداوي

تندرج اهمية هذه الدراسة في مجال الفكر السياسي من أن موضوعها يرتبط بقضية هامة عرفها الفكر العربي الاسلامي وهي قضية النهضة واصلاح حال الامة العربية والاسلامية واخراجها من الحالة الانحطاطية المتخلفة، وايضاً في عد المفكر الاسلامي الجزائري، مالك بن نبي، واحداً من رجالات القرن العشرين الذين شغلوا أنفسهم بقضايا أمتهم، وسعوا الى بلورة الحلول والاقتراحات الكفيلة باخراج الامة الاسلامية من تخلفها الشامل المركب ودفعها الى التفاعل مع معطيات العصر وتقدمه.

وقد انبنت هذه الدراسة على فرضية مفادها ان العالم الاسلامي يعاني انحطاطاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، وان هناك امكانية لنهوضه مجدداً من كبوته وتخلفه باستخدامه الامكانات الذاتية المتاحة لديه.

ولأثبات هذه الفرضية تم تقسيم هذه الدراسة الى اربعة فصول، فضلاً عن الفصل التمهيدي الذي اهتم بدراسة الواقع المعاش وتأثيره بالمفكر ضمن مبحثين تناول اولهما واقع الجزائر السياسي والثقافي في فترة مالك بن نبي، في حين عالج الثاني شخصية مالك بن نبي وحياته.

وقد اتضح ان مالك بن نبي هو نتاج لأطول تجربة خاضها مجتمع مسلم مع الاستعمار هي تجربة الجزائر. وان القاعدة الفكرية التي كانت منطلق بن نبي هي المدرسة الاصلاحية والمدرسة السلفية.

في الفصل الاول تم تناول عوامل الانحطاط التي أثرت بشكل سلبي في العالم الاسلامي من خلال دراسة الظاهرة الاستعمارية ومدى تغلغلها في المجتمعات الاسلامية ونتائجها السلبية، فضلاً عن العوامل الداخلية التي تعاني منها الامة الاسلامية، ودراسة أسباب (تحجر) وجمود التفكير الاسلامي، ودور العادات والتقاليد الاجتماعية السلبية في حصول الانحطاط الحضاري.

وقد حدد بن نبي عوامل الانحطاط في المجتمعات العربية والاسلامية ابتداء من الاستعمار كعامل خارجي والقابلية للاستعمار كعامل داخلي في النفس الاسلامية ومالها من اثار سلبية في العالم الاسلامي. ورأى ان العادات المتخلفة والتقاليد المتراكمة قد ادت دوراً سلبياً في عرقلة حركة النهضة الاسلامية اي ان عوامل انحطاط العالم الاسلامي كانت عوامل سياسية وفكرية واجتماعية بمعنى انها مشكلة حضارة لا غير.

(*) رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد عام ٢٠٠٤ مقدمة من قبل الطالبة ثناء عبد العزيز سعيد.

وفي الفصل الثاني: تم بحث عوامل نهضة الامة ومنهجيتها من منظور مالك بن نبي والتغير الفكري ودور الاسلام فيه وشكل النهضة المرتقبة وهي نهضة ذات شكل حضاري لا تتحقق الا بالاسلام والفكر أي بالفكرة الاسلامية الخالصة، طالما ان نهضة الامم الحقة هي التي تقوم على الفكرة الصالحة.

وجاء الفصل الثالث ليدرس موقف بن نبي من قضايا سياسية محددة: كمفهوم السياسة والديمقراطية والوحدة الاسلامية. فالسياسة عند بن نبي يجب ان تكون مستندة، من جهة، الى دراسة دقيقة للواقع بعيدة عن الارتجال ومن جهة اخرى يجب ان تستند الى ما يقدمه هذا الواقع من امكانات لتغير مزدوج للذات والموضوع وفي علاقة جدلية وطيدة بينهما، وان الحديث عن علاقة الديمقراطية بالاسلام عند مالك بن نبي بعد تفكيك وربط هذه العلاقة نجدها في العناصر الثلاثة هي الشعور نحو الانا، نحو الأخرين، والشروط الاجتماعية والسياسية مع التسليم، بداهة، ان الاسلام يخفف من النزعات المنافية للشعور الديمقراطي. اما قضية الوحدة الاسلامية فان بن نبي في موقفه منها ركز بشكل كبير على الجانب العلمي (التطبيقي) اكثر من تركيزه على الجانب الفكري، لانه اراد الخروج من الاطار الفكري الاسلامي الذي تناول قضية الوحدة الاسلامية نظرياً دون ان يصل الى نتيجة محددة، فتناول الجانب العملي منها، ولأنه في فكره، بشكل عام، يربط بين العمل والفكر بربط جدلي.

وفي الفصل الرابع تمت مناقشة المشكلة الاقتصادية الاسلامية في فكر مالك بن نبي في مبحثين اولهما اختص بالمشكلة الاقتصادية اما الثاني فعالج سبل التنمية الاقتصادية التي تعتمد على الانسان المسلم وعلى الطبيعة وما تحتوي عليه من الارض والمواد الخام، الظاهرة والباطنة، ولا يعد المال من العناصر الرئيسة للتنمية لان له اثاراً سلبية في النهضة الاقتصادية للعالم الاسلامي. وبين بن نبي ان من الضروري ان يكون هنالك تفاعل بين الانتاج والاستهلاك لتحقيق التنمية عن طريق توزيع لقمة العيش لكل فم وتوفير العمل لكل يد على [...]ق مبدأ الزكاة والعمل.

وعليه فان بن نبي عمل على بيان والكشف عن كيفية تشغيل الطاقات الاجتماعية من دون الوقوع في ورطة الاختيار بين الرأسمالية أو الماركسية وبالتالي دعا المسلم الى أن يخطو في عالم الاقتصاد بثبات وانطلاق وتحرر من اسر الرأسمالية والماركسية مستثمراً كل امكاناته الروحية والذهنية والمادية ومنطلقاً من معادلته الاجتماعية الخاصة الكفيلة بانجاح أي مخطط اقتصادي.